دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	دراسات سيكولوجية أدبية
المصدر:	مجلة التربية
الناشر:	اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم
المؤلف الرئيسي:	كمال الدين، جليل
المجلد/العدد:	ع 48
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1981
الشهر:	سبتمبر
الصفحات:	90 - 93
رقم MD:	302034
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	الأدب المسرحي، الادب، الابداع الادبي، التفكير، الابداع الفني، الأدب و علم النفس ، تشيخوف ، أنطوان بافلوفيتش، المسرح، الأدب الروسي، المسرحيات الروسية، علم النفس التطبيقي، النقد الادبي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/302034

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

دراسات سيكولوجية أدبية

بزغ التجديد لدى تشيخوف ، كواحد من العناصر التقليدية في ابداعه – في اول مسرحية مهمة له تحت عنوان « ايفانوف » ،وبمكنة المرء ان يلمس التجديد – هنا – في النماذج الفنية ذاتها ، وفي سبل تصويرها . وقد اكد تشيخوف في رسالة له قائلا ان هذه النماذج هي خلاصة دراسته للحياة وتأمله الشامل فيها ، وانه « لم يكذب ولم يعقد شيئا قط » . وبالفعل ، فان الابتعاد عن التصوير المباشر وحيد الجانب ، والتأكيد على تلاحم العالم الداخلي لدى البطل والجمع بين المتضادات في الانسان ..

بقلم : الدكتور جليل كمال الدين
بغداد : الجمهورية العراقية

ان كل هذا انما يشكل اسس التشكيل الفني في عالم تشيخوف الغني والساحر معا في آن واحد . وجاء في احدى رسائله عن مسرحية « ايفانوف » وله : « بدأ الكتاب المسرحيون كتابة مسرحياتهم عن ابطال غير عاديين ، ملائكة او اوغاد او شياطين .. فتشن عن هؤلاء الابطال في روسيا ستجدهم طبعا .. لا على هيئة ملائكة وشياطين كما يريدهم المسرحيون . وستبدأ اذ ذاك تفكر ، دون ارادتك ، تفكر .. لقد لقد اردت عمل شيء جديد،ولم اعثر على ملاك او شرير واحد ، رغم اني لم اتجنب الشياطين ولم أقم بادانة احد او تبرئته » .

ان هذا المبدأ الابداعي الهام يعكس جوانب تشيخوف القوية والضعيفة . لقد صور تشيخوف العالم السيكولوجي المعقد المتناقض ، في آن واحد ، لابطاله من الانتيلجنسيا (المثقفين) . وبالفعل ، فان الرؤية الواقعية قد ساعدته ليس في استخدام الالوان في الوضع والتصوير السيكولوجي فحسب بل والاحاطة بكافة المتعرجات والمنعطفات ، فمهد له ذلك النجاح في التصوير الشامل والموضوعي للواقع . غير ان ابهام المثل الايجابية وغموض الموقف السياسي لديه وجد انعكاسه في فقدان الميزات الاجتماعية البارزة والحادة وفي حل الصراع ضمن اطار التربة السيكولوجية .

ان هذه السبل الابداعية الملتحمة التحاما وثيقا بالموضوع المصور وبوجهة نظر الكاتب نفسه تميز مسرحية « الخال فانيا » (١٨٩٦) ، التي تعتبر نموذجا طيبا لفن تشيخوف السيكولوجي .. والحقان مسرحيات تشيخوف الكلاسيكية الاربع («النورس» « الخال فانيا » ، « الاخوات الثلاث » ، « بستان الكرز ») تمتاز بخصائصها الفردية العميقة ، ولكنها جميعا مكتوبة بطريقة سيكولوجية واحدة او متماثلة بالاخرى . وتتيح هذه الطريقة دراسة « الخال فانيا » كنموذج للمسرحية السيكولوجية التي يتسم بها فن تشيخوف المسرحي .

اكتدح فوينتسكي في ضيعة سير بريكوف (٢٥) عاما ، دونما كلل . وكان يكسب أوده بعمله الشاق في المزرعة المهملة ، ويبعث بها الى البروفسور سير بريكوف في بطرسبورغ ، الذى كان يتراءى لفوينتسكي – الخال فانيا – انه من طبقة العلماء الذين يعملون من اجل التقدم . ان علاقة الخال فانيا بسير بريكوف تنشأ عن طريق والدته ماريا فاسيلفنا التي ظلت مخلصة « للصنم » ، وكانت تكتب كافة « مقولات » البروفسور الواردة في كلامه ، من مثل « ينبغي على المرء انجاز العمل المكلف به » . ويتذكر فانيا ذلك قائلا : « كنت افتخر به وبدراسته العلمية ، لقد عشت وتنفست كل ما كتبه ، وقد لاح لي آنذاك ان انتاجه ينم عن العبقرية والتفرد » . لقد فهم الخال فانيا انه كان يقدس انسانا لا يعدو ان يكون « فقاعة صابون » ، عندما اضطر البروفسور سير بريكوف لان يعيش في القرية تحت وطأة الحاجة الى المادة ، فقد كتب خمسا وعشرين سنة عن الفن دون ان يفقه شيئا فيه ،و تحدث عن القضايا والامور « التي يعرفها أولو الالباب ولا تهم الاغبياء » . وكرس الخال فانيا حياته في سبيل رفاهية سير بريكوف ، ثم احس ، على نحو ، تراجيدى ، وبعد فوات الاوان ، عبث التضحية التي قام بها .

لقد بلغ تشيخوف بالتناقضات التى يتصف بها ابطاله الى اقصى درجاتها ، في شخص فوينتسكي ، حيث التمرد والاحتجاج وادانة الواقع ورفضه ، من جهة ، والعجز والمسالمة والضعف ، من جهة اخرى . الترهف طبيعة فوينتسكي الحساسة وكامل مجرى حياته والانعطاف المأساوى في مصيره ، ترهف من حدة وعمق هذه التناقضات . يتمرد فوينتسكي على الحياة الاعتيادية وعلى التقاليد المألوفة . لقد اعتاد الكدح من اجل البروفسور ، متخذا منه قضية القضايا في حياته ، كما تعود العمل اليومي الشاق في خدمة هذا البروفسور وخدمة الثقافة عموما . وكان الاخرون يتطلعون الى فوينتسكي « كانسان رائع » ، اما الان فطفقوا ينظرون اليه كمجنون .

ويقول فوينتسكي : « اجل .. انا المجنون .. لا هؤلاء الذين يتقنعون بقناع البروفسور وسحر العالم غباءهم وقسوتهم الفظيعة ، ولا تلك اللواتي يتزوجن من شيوخ ليخونهم على مرأى الجميع » .

ويشعر الخال فانيا شعورا حادا ، مرهفا للغاية بشطط

ما يعتبره الناس طبيعيا ، وهو لا يعدو النظرة الاعتيادية الى مجرى الحياة الرتيب المألوف · ان حبه لمن كانت تدعى « يلينا اندريفنا » ، التي لا تبادله اياه ، يعتبر تحديا للمألوف من التصورات ، وهو لا يفتأ يحاول اقناعها : « اعطي لنفسك الحرية ولو لمرة واحدة في حياتك ، أحبى أى شيطان واغرقي حتى اذنيك، حتى رأسك في بحبوحة الحب ، حتى نذهل نحن ، ويذهل الهر البروفسور ، ولا نعود ندرى ما نفعل » ·

ان تعاظم استياء فوينتسكي من بيئته ومن نفسه ذاتها ، والاسف على شبابه المهدد ، ينتهي به الى المجابهة المباشرة مع سير بريكوف ، واطلاقه الرصاص عليه ، ومحاولته الانتحار · ولبرهة يتجسد في شخص سير بريكوف كل الشر الذى يعاني منه الخال فانيا ، رغم ان فوينتسكي يحس في اعماق نفسه ان انانية لا تعدوا أن تكون عذرا لا سببا لماساة حياته ، ومن هنا فهو مستعد فى خاتمة المطاف ، للمصالحة معه ·

★★★

لقد اكد اكثر الباحثين ، ممن تصدوا لبحث ابداع تشيخوف المسرحى . ان جوهر مأسرة الخال فانيا انما يكمن في التضحية بحياته من اجل الصنم البشرى البروفسور · ومع ذلك ، فمن المهم . حقا » ان نشير الى جانب اخر ، وهو ان الاسى على الماضي وعلى السنين المهدورة عبثا ليس هو بالشيء الوحيد الذى يعذب الخال فانيا ، بل ان الافتقار الى الهدف ، وعدم وجود افاق هما ، ايضا ، يعذبانه لحد ممض · انه يقول ليلينا : « لقد اضعت الماضي بغباء ، لقد اهدرته بالتفاهات والترهات · اما الحاضر فهو فظيع لعدم « معقوليته»· لقد تخلص فوينتسكي من الاوهام الكاذبة وهو يريد ، دون ان يستطيع ، ان يبدأ حياة جديدة ليس لانه بلغ السابعة والاربعين من سنيه ، حيث طفقت الحياة تقترب من الافول · بل لان ثمة شيئا اخر يتجلى في حديثه مع الطبيب استروف : « ابتداء حياة جديدة ·· ولكن قل لي بماذا أبتدىء وكيف ···» ، فيجيبه استروف بوعي يحز فه نفسه للغاية : « ان وضعنا أنا وأنت لا يرجى منه خير ، انه ميؤوس منه ···» ·

وهكذا ، فان افتقاد الغاية من الحياة ، وانعدام آفاق المستقبل ، وما يلحق ذلك من لواحق عدم الرضا عن النفس والضيق ، الضيق الشديد بالواقع ، ليست من ميزات فوينتسكي وحده ، بل انها ، لدرجة تقل او تكثر ، ميزات عدد من ابطال تشيخوف المثقفين · انها ميزات السيكولوجية الاجتماعية ، والنموذجية التي تعكس ، بدقة ، ظواهر الواقع الحياتي ·

★★★

يصور تشيخوف ابطاله من زوايا متداخلة متعددة · فليس من السهل ، في الواقع ، افراد ميزة معينة في شخصية الخال فانيا وصورته الفنية ، واعتبارها هي المهيمنة ، او الاساسية · فهو هنا ، مثلما هي الحال في مواضع اخرى من اعماله الادبية والفنية ، لا يظهر صفة بارزة واحدة من صفاته ، ليشخصها على انفراد ، بل يقدم وحدة ديالكتيكية معقدة ومتناقضة من الصفات والميزات · ولو حق لنا ان نستعير كلمات تولستوى لقلنا عن بطل تشيخوف انه متغير ، متناقض في آن معا ، فهو « حكيم وأبله ، عملاق وهش » ·

ويتبلور في (الخال فانيا) ذلك البعد من «جدلية الشخصية» المتصل بتصوير العملية السيكولوجية ذاتها ، و «نمو» الشخصية وتبدل الافكار والامزجة والمشاعر وتحولها ·

في المشهدين الاولين تتعاظم كراهية فوينتسكي للبروفسور ، وحبه ليلينا اندريفنا ، وطموحه لتغيير تيار حياته السابق ··· وتطابق الذروة السيكولوجية ذروة مسار المسرحية في المشهد الثالث ·

اما في المشهد الرابع فيسود اليأس ، والضعف ، والرجوع الدائم الى مواضعات الحياة المألوفة · ويصور تشيخوف العملية السيكولوجية بدقة بالغة في هذا المشهد · ان اخفاء فوينتسكي زجاجة المورفين في بداية المشهد يتعلق ، كما هو واضح ، باستمرار تمرده ، حتى ولو بممارسة الانتحار ·وعندما جاء استروف طالبا منه زجاجة المورفين ، تحدث ايضا عن رغبته « بابتداء حياة جديدة » ·

ان مزاج فوينتسكي ، وتيار افكاره يتغيران بالتدريج تحت وطأة كلمات استروف المسرفة في التشاؤم ، ونداء سونيا الابتهالي حول التحمل الابدى · ويبين حواره مع زجاجة المورفين أهمية التفكير في شيئين : ما العمل ، وكيف ينبغي ان نعيش ·

ان اللحظة التي يناول فيها فوينتسكي زجاجة المورفين الى استروف انما تعني ، فيما تعني ، كفه عن أيما محاولة للاحتجاج، واعلانه التكيف او ما يدعى بالمهادنة أو المصالحط مع تيار الحياة الرتيب · تقول سونيا : « اني اتحمل ، وسأصبر حتى تنتهي حياتي ··· فلتتحمل انت ايضا ··· ناولني الزجاجة » ·

وتظل تبتهل اليه ، في ضراعة كضراعة المتعبدين ، حتى يناولها ، فعلا ، الزجاجة ، ولكنه يقول : « ولكني علي ان اعمل على الفور ، أن أقوم بشيء ما حالا ، انا لا أستطيع هكذا ، لا أستطيع ···» · فترد عليه سونيا : « اجل ، اجل يجب ان نعمل ، وحالما نودع أقاربنا سنبدأ بالعمل » ·

ان العمل بالنسبة لفوينتسكي هو سم بطيء المفعول ، استبدله هو ، عوضا عن المورفين · ويعود كل شيء الى القوالب المعتادة ، المعهودة التي ثار عليها الخال فانيا · فاننا نلحظه يقول لسير بريكوف مثل هذه الكلمات ، ذات الدلالة البليغة : « سوف تتسلم بانتظام ما كنت تتسلمه سابقا · ان كل شيء سيظل كما كان » ·

★★★

وعلى هذا النحو ، يقدم لنا تشيخوف لوحة كاملة الابعاد والاطر والخلفيات ، عن مشاعر وأفكار ونوايا البطل المتغيرة ، المتنوعة ·

لقد امكن لتشيخوف ، ككاتب مسرحى ، ان يعرض ما كان يبدو مستحيل العرض على المسرح · وقد تم ذلك بفعل عدة اسباب ووسائل ، منها المونولوغ والمناجيات الروحية التي تتآلف ، في الجوهر ، من تحليلات وتأملات وعبر تغتني باستمرار ·

ومما يميز نهج تشيخوف الابداعي انعدام القفزات الحادة في تصوير العالم السيكولوجي لابطاله ، والرغبة في نقل تحولاتهم باستمرار ، ودونما كلل · ان تشيخوف لا يصور التناقضات الداخلية عند البطل ، عن طريق صراع العواطف المتمردة ، او تصوير رغبتين متضادتين عبر مونولوغات ومناجيات البطل من النمط الهاملتي « أن تكون أو لا تكون » ، بل انه يصور ذلك في مجرى الحياة اليومي والعلاقات الحياتية بين الابطال انفسهم ·

على ان صورة فوينتسكي الفنية لا تنفرد وحدها بسمات « جدلية (ديالكتيكية) الشخصية » ، او بميزات التصوير السيكولوجي المعقد ، بل تتجاوز ذلك الى بقية الشخصيات ·

ان فوينتسكي لا يحتكر براعة تشيخوف السيكولوجية في البناء الفني ، فالى جانبه يبرز « ابطال » آخرون ·

فان استروف هو واحد من الشخوص المهيمنة فى مسرحية (الخال فانيا) · وقد اختلف الباحثون في تقدير وتقييم هذه الشخصية · فان احد النقاد (ف· يرميلوف) يبرز في كتابه (تشيخوف مسرحيا) السمات الايجابية التي يتميز بها استروف بل ويتجاوز ذلك الى ما يدعوه « بتجاوبه مع المستقبل » · ومن ناحية اخرى ، يناقش ناقد آخر هو (ج· بيردنيكوف) ، بحمية ، ويعارض النقاد الذين « ينزعون لان يروا في أستروف بطلا ايجابيا » · وهو يصور ، بلحن قاتم ـ لوحة « الانهيار الداخلى لدى الدكتور استروف » · بل هو يبرز ، بكل السبل ، « اللامبالاة والفراغ الروحى » اللذين يمتاز بهما أستروف ، محاولا تعريته تماما وتجريده من أيما ميزة مستقلة · وبهذا الشكل ، فانه يستخف ، منْدون حق ، بالمبدأ التشيخوفي في التصوير السيكولوجي المتعدد الجوانب للشخصيات في العمل المسرحي ·

ومما يتفق عليه أكثر الباحثين هو صعوبة تقسيم أبطال تشيخوف الى ايجابيين وسلبيين ، وليس صدفة ولا عبثا ان يتباين دارسو تشيخوف في محاولات التصنيف الدقيق لابطال تشيخوف · فاذا ركزنا النظر وبالغنا في الاهتمام بمصطلح « البطل الايجابي » بالطريق الذى يجرى التعريف به ، أى الطريق المدرسي التقليدى ، فاننا سوف نعجز عن العثور على بطل « ايجابي » ـ بهذا المعنى ـ في اعمال تشيخوف ·

غير ان الامر ليس كذلك ، لحسن الحظ ·

ففي الواقع ، يمثل أستروف أحد الابطال القريبين من روح الكاتب · وهو يجسد النواحي القوية والضعيفة ، معا ، في آراء تشيخوف نفسه ، آرائه بصدد موقفه الانتقادى من الواقع ، دون منهج ايجابي محدد ·

ان خطيئة بيرديكوف في تقييم أستروف تتأتى من التحليل المتحامل ، الوحيد الجانب ، لشخصيته · والحال ، ان ما يوحد استروف وفوينتسكي ويلينا اندريفنا وبقية ابطال المسرحية هو الموقف الساخط على الوسط الاجتماعي ، والاحتجاج بوجه نظام الحياة القائم · ان أستروف يحدد وجهة نظره هذه ـ بشكل حازم ، قائلا : « اني احب الحياة عموما ، غير اني لا اطيق الحياة الروسية المحدودة في الاقاليم ، واحتقرها بكل قوى روحى » ·

ان احتجاج أستروف هذا يجد أصداءه لدى بقية ابطال مسرحية تشيخوف (الخال فانيا) ، ومسرح تشيخوف عموما · انه يسعى للانطلاق بعيدا عن مجرى الحياة الرتيب « الغبي والقذر والمضجر » · وقد وقاه عمله في حقل الطب ، وولعه في تنمية الغابات ، وقاه من الابتذال والتدهور · وقد اجتاز أستروف الطريق النموذجي الذى اجتازه مثقفو الثمانينات والتسعينات الروس في القرن التاسع عشر · فقد شخص هدفه ، وقتا من الاوقات ، في « العمل الثقافي » وطرح القضايا الصغيرة » بمستوى « الافكار الغامة » · غير ان الحياة قد اجهزت على هذه الاوهام · وباتت افكاره منحصرة ، الان ، في تنمية الغابات والنشاط الطبي والنظام الفلسفي الخاص ، كطريق لتغيير الحياة ·

ولا تنحصر مأساة أستروف هذا في خيبة امله في الثقافة · فالمهم ان كفه عن هذه الفكرة قد احدث لديه فراغا لا يدرى كيف يملؤه ، فهو لا يؤمن « بالشؤون الصغيرة » ،ويصطدم تطلعه الى مستقبل افضل بفقدان الاهداف الواضحة ، بل فقدان وافتقاد حتى سبل النضال التي تؤدى الى مثل هذا المستقبل ، في الوقت الحاضر · وهذا ما نلحظه في كلمته الواضحة ، المفعمة بالمرارة ، التي سبق ان أشرنا اليها : « ان وضعنا انا وأنت ميئوس منه ···» · ان هذه الكلمة التي فاه بها أستروف الى فوينتسكي ، في لحظة من لحظات التجلي والتكاشف الحميم ، انما تكشف عن نقاء روحى ، وتظل تومىء الى الظمأ نحو الخلاص ·

وكذلك ، فان زيارة استروف ذاتها لعائلة سبر بريكوف وكلامه المؤثر عن العمل والجمال والغابات والمستقبل يلوحان نسمة تغيير في الجو الرتيب البليد في الاقاليم · وهذا بالذات ما يجذب اليه سونيا ويلينا اندريفنا التي تفكر في سرها « في غمرة هذا الضجر الميتحيثيتجول الجاهلون الملون··ولاتسمع غير الاحاديث المبتذلة عن الطعام والشراب والنوم ، يأتى أحيانا استروف الذى لايشبه الاخرين » ، ان كل ماهو جميل وطافح بالشعرية والشفافية يرتبط بشخص استروف ، الذى يبدد جو الحياة المقيت ·

ان الكسل وضيق الافق والانانية الجاثمة على بيت سبر بريكوف غريبة ، تماما ، على استروف ، وهو لايطيقها ، فاننا نسمعه يقول لسونيا : « أتعلمين لو مكثت فى بيتكم شهرا واحدا لاختنقت فى هذا الجو » ·

ويجسد تشيخوف ، كفنان مسرحى مجيد ، فى شخص استروف ودوره فى المسرحية ، السمات التاريخية الملموسة للمثقفين الروس فى التسعينات ، وليس صدفة ولا عبثا تعايش الصفات المتناقضة فى شخصيات استروف ، فهى تعكس المميزات الجوهرية للنموذج الحياتى الواقعى ، فى ذلك الزمن ·

★★★

وينزع بعض الباحثين فى تبسيط شخصيات تشيخوف الى جعل اطارهم السيكولوجى واضحا ، محدودا ، مباشرا ، كما نلمس ذلك فى تقييمهم لشخصية يلينا أندريفنا ، فمثلا يقول ف · يرميلوف (الذى مرت الاشارة اليه) عن يلينا هذه : « ان الابداع والعمل غريبان عليها ، ولهذا فهى غريبة على

هل ترتبط المأساة بالعواطف الحياتيه ؟

الحياة نفسها ، ان يلينا اندريفنا التافهة تحول الاخرين الى تافهين ، وهى لاتعى انها تحطم كل ما تجده جميلا فى طريقها » ، ولا يلبث يقول : « انهـا بفراغها ولامبالاتها لايمكن ان تردو الى سعادة حقيقية » ٠

ان هذا الذى يقوله يرميلوف هو تصوير أحادى الجانب للمسألة ، وهو بعيد عن الدقة ٠

فالامر الاساسى الذى يكمن فى جوهر شخصية يلينا اندريفنا هو أنها ذاتها تعانى الامرين من الحياة التافهة ، وهى غير راضية عن واقعها ، مثل الخال فانيا ، ومثل استروف ، وتقول يلينا اندريفنا لسونيا : « اذا امعنت النظر فى حياتى فانى تعسة » ، ان يلينا هذه تريد ، هى الاخرى ، الانفلات من الجو الخامل الراكد الذى تحيا فيه ، فهى تحلم « بأن تطير كطائر حر » ٠٠ وبأن « تنسى وجود الجميع فى هذا العالم » ٠

ولايخفى تشيخوف السمات السلبية عن عالم يلينا السيكولوجى ، ومن تلك السمات : الخمول ، وحب الراحة ، ان ادراكها لضعفها يمثل عقبة فى طريق التحرر من « الكلام » البليغ وصفات « الكسولة » ، وتغيير الحياة ضيقة الافق التى تعيش ٠

ويتبع تشيخوف الطريق غير المباشر فى الاضاءة السيكولوجية لعالم الابطال فى المسرحية ، فهو يدع الشخصيات الاخرى تتحدث عن شخصية معينة ، وهكذا ، فان الكلمات المحمومة المضطربة التى تنطق بها يلينا اندريفنا عن احلام استروف ، انما هى تلقى الضوء الكافى على شخصيتها هى ، عاكسة التقارب بين أحلامها ٠

★★★

ان المثل الايجابية لدى تشيخوف يعبر عنها ، بدرجات متفاوتة ، أبطال ساخطون على واقعهم ، أبطال يعانون من التفاهة ، ويحلمون بمستقبل أفضل ، ومثل هذه الصفات السيكولوجية ـ الوسيولوجية للمثقف اللامنتمى لفئة معينة نجدها فى الشخصيات المختلفة التى عرضنا لها ، فى أمثال استروف ، وڤوينتسكى ، ويلينا اندريفنا واخرين ٠

ويؤكد تشيخوف ، أكثر من مرة ، انه يصور ممثلى الانتلجنسيا العاديين المتوسطين ، الذين لاينتمون ، بحال ، الى أى صنف من صنوف « الابطال » ٠

ان مايحدد معظم شخصيات تشيخوف هو السخط على الحياة والاحساس بالتحولات المقبلة التى يعرفها الكاتب كظاهرة عامة مشتركة ، وليس اتفاقا ان يرى معاصرو تشيخوف انفسهم وأحلامهم ومآسيهم فى عوالم مسرحياته ٠

★★★

ولا ترتبط المأساة فى شخصيات تشيخوف بالعواطف القوية والمتأججة ، بل بمجرى الحياة اليومى الرتيب ، وقد كشف تشيخوف الابطال الذين يشعر نحوهم بالاحتقار فى تيار الحياة العام ٠

وفى مسرح تشيخوف « أبطال » لايتبرمون بالحياة محدودة الافق ، بل يجدون سعادتهم فيها ، فى الحياة العائلية الرتيبة ، وفى مجرى الحياة المعتاد ، وأمثال هؤلاء هم الابطال السلبيون ، وهم قليلو العدد فى مسرحيات تشيخوف ، منهم : سير بريكوف فى مسرحية « الخال فانيا » ، ، وناتاشا فى مسرحية « الاخوات الثلاث » ، وباشا فى مسرحية « بستان الكرز » ٠

ولا يكتسى الابطال السلبيون فى مسرح تشيخوف قناع « الاشرار » ، بالضرورة ، فهم لايعدون ان يكونوا اناسا تافهين ، انانيين ، معتدين بأنفسهم ٠

وصفات هؤلاء متعددة لدى تشيخوف ٠

فاذا بدأنا بسير بريكوف فى « الخال فانيا » ، فاننا سنجده ساخطا على الجميع ، وعلى كل شىء ، غير ان هذا ليس سخطا « ايجابيا » موجها ضد نظام الحياة القيصرى ، انه مجرد سخط « عادى » لشخص أنانى « عادى » ، فانه يثور لعدم تلبية نزواته الشخصية بل هو يبرر حتى طغيانه البيتى وأنانيته ، انه يصرخ : « أمن المعقول أن أحرم الحق فى ان أكون أنانيا فى شيخوختى ، أحقا انى لا أستحق هذا ؟ » ان اعتداده ورضاه عن نفسه يتجلى فى نظرته للاخرين فهو يدعو ماريا فاسيلفنا ، التى اعجبت به وقتا من الاوقات ، « عبيطة عجوز » ، ويسمى الطبيب استروف الذى عالجه « مجنونا » ، وهنا نلتقى ، مرة اخرى ، اسلوب تشيخوف فى تقديم البطل وكشف عالمه الداخلى بواسطة حديثه عن الاخرين ، مع الاخرين ٠

ان الدور التدميرى الذى يلعبه سير بريكوف فى مصير أبطال المسرحية لايتصل بنواياه السيئة أو الحسنة ، بل بالصفات الاجتماعية النموذجية لشخصيته ، ان كافة الشخصيات السلبية فى مسرح تشيخوف تتصف بصفات فردية معينة كالاعتداء الاخرق بالنفس ، والقناعة بالمكان الذى تحتله فى الواقع الذليل ، ويصح هذا ، بدرجات متفاوتة ، على سير بريكوف وناتاشا وباشا ، فالميزة الفردية الجوهرية التى ينفرد بها هؤلاء هى الزهو والغرور والاعتداء بالنفس والرضا بالوسط المعيشى ، وهى تتخذ طابعا اجتماعيا محددا ٠

اما استروف وڤوينتسكى وسواهما فهم على النقيض ، لانهم ساخطون متمردون على واقعهم التاريخى ـ الاجتماعى ـ الحياتى آنذاك ،وهكذا يكون اظهار جدلية الشخصية وصراعيتها وديناميكيتها مبادىء أساسه فى البناء السيكولوجى ـ الفنى فى مسرحيات تشيخوف ٠